أنه من بيت آخر غير بيت الفقيه، كما نص على أن رسالة ابن شهيد موجهة إليه، وأما ابن بسام (ت٥٤٢هـ) فقد كان هو الآخر من أبناء عصر الشاعر وكان دقيقاً جداً في المعلومات التي ضمنها كتابه الذخيرة حيث "مارس البحث الطويل والزمان المستحيل"[١] على ما يذكره في مقدمة كتابه.

ومن الباحثين حازم عبد الله الذي استوفى مناقشة هذه القضية، فحقق هذه الشخصية، في رسالته الجامعية وأبره ذلك بالحجج المنطقية.[٢]

فصولها:

ساق ابن بسام مقدمتها وسماها صدر الرسالة ثم يورد بعدها أربعة فصول منها.. وسنتناول التعريف بها.

جعل ابن شهيد صدر رسالته مدخلاً مناسباً ليعلل به رحلته إلى عالم الجن فقد أورد على لسان أبي بكر بن حزم إعجابه ببراعته الشعرية. على صغر سنه. حيث عزاها إلى تابعة تنجده وزابعة تؤيده لأن تلك الشاعرية ليست في قدرة الإنس.

فيعلل ابن شهيد براعته الشعرية إلى أنه في مطلع حياته، ومبدأ شبابه، مات من كان يهواه فجزع عليه جزعاً شديداً وقصد رثاءه فاستغلق عليه ذلك ثم نظم أبياتاً قليلة وارتج عليه القول ثم أسعفه فارس يمتطي فرساً أدهم ويصيح به أعجزاً يا فتى الإنس؟ ثم يجيز أبياته وبعد أن يثبت ابن شهيد إجازته يسأله عن شخصيته، فيخبره بأنه زهير بن نمير من أشجع الجن وتتفق الصحبة بينهما وتتأكد المودة.[٣]

أما الفصل الأول، فيلتقي فيه الشاعر بتوابع الشعراء بعد أن يرحل معه على متن جواده كالطائر يجتاب الجو فالجو ويقطع الدو فالدو حتى ينزل أرضاً متفرعة الشجر عطرة الزهر يعلم من صاحبه أنها أرض الجن فيخيره فيمن يبدأ في اللقاء فيقول أبو عامر: "الخطباء أولى بالتقديم، لكني إلى الشعراء أشوق، فيتجول في أودية تلك الأرض يتعرف على توابع الشعراء. الذين نذكرهم كما وردوا في الرسالة. امرئ القيس، وطرفة بن العبد، وقيس بن الخطيم، من الجاهليين وأبي تمام والبحتري وأبي نواس وأبي الطيب المتنبي من العباسيين يجري في لقائه بهم محاورات ومناظرات شعرية ينتزع فيها إعجابهم بشعره ويحصل على إجازتهم برواية أشعارهم وكانت طريقته في ذلك أنه يستمع لهؤلاء الشعراء غرر أشعارهم ثم ينشدهم روائع شعره وقد بلغ الإعجاب ببعضهم أنهم عدوه مشرقياً.

وأما الفصل الثاني، ففيه يلتقي بتوابع الكتاب ويسميهم (الخطباء) فيلتقي في مجلس واحد بتابعي الجاحظ وعبد الحميد الكاتب، ثم يقرأ عليهما رسالته في صفة البرد والنار

---

١ مقدمه الذخيرة، ١٦/١/١.

٢ ابن شهيد الأندلسي، حياته وأدبه، ٢١٠ . ٢١٢.

٣ رسالة التوابع والزوابع، ص ٨٩ . ٩٠. وينظر قول الجاحظ في سبب رفعة مكانه الخطيب على الشاعر وذلك لاتخاذهم الشعر مكسبا.

فاستحسناها ويورد رسالته في الحلواء ثم ينتقل إلى وصف برغوث وثعلب، وبعدها يلتقي بتابع بديع الزمان الهمداني حيث يصف له جارية، ويصف الماء، وعلى هذا المنوال يسترسل في حديثه حتى يحظى بإعجاب الكتاب كذلك وإجازتهم إياه.

وفي الفصل الثالث، ينتقل ابن شهيد مع تابعه إلى مجلس من مجالس الجن حيث يتذاكر معهم ما تعاورته الشعراء من المعاني ومن زاد فأحسن الأخذ ومن قصر في الأخذ فيورد أمثلة ونصوصاً شعرية لشعراء أمثال الأفوه الأودي والنابغة الذبياني وأبي نواس وصريح الغواني وأبي تمام والمتنبي وغيرهم من مراحل الأدب العربي وعصوره المختلفة وفي هذا القسم تبدو براعة ابن شهيد النقدية في تتبع المعاني لدى الشعراء وإسهامه كذلك.

أما الفصل الرابع فيتألف من مشهدين، الأول يلتقي فيه بقطيع من حمر الجن وبغالهم حيث يحتكمون إليه في قصيدتين لبغل وحمار فيحكم بينهما.

وفي الثاني يقف على بركة ماء يتحدث مع أوزة بيضاء شهلاء يصف لنا جمالها وحركتها وحسن سباحتها وحين يسأل زهيراً عنها يخبره بأنها تابعة من توابع شيخ من مشيخة الإنس وبعد أن يستغرق في وصف محاسنها بأسلوب بليغ، يداخلها عجب بنفسها، ثم يدور حوار بينهما فيه تحدٍ له لا يلبث أن يتحول إلى أنس ومودة حيث يودعها إلى عالم الإنس.

مصادرها:

بعد أن وقفنا على مضمون رسالة ابن شهيد نستطيع أن نعزو الجانب الإبداعي في رسالته إلى مصدرين رئيسين هما:

١. **التراث العربي:** يتصل بإيمان شعراء الجاهلية بالشياطين التي تعينهم على قول الشعر.. وهي جزء من الأوابد[١] التي جرى عليها العرب منذ زمن بعيد وقد وصلت إلينا عن طريق أشعارهم وبين أيدينا أسماء تلك الشياطين فمنها: الغول التي تتشكل وتتصور في ضروب الصور والثياب وقد زعموا: أنها إذا عرضت لإنسان فضربها ضربة واحدة ماتت فإذا ثنى حييت وقد صوروها تصويراً مخيفاً.

وكان مما تداوله شعراؤهم من ذكر الشياطين قول أبي النجم العجلي:

إني وكل شاعر من البشر شيطانه أنثى وشيطاني ذكر

وقال غيره:

إني وإن كنت صغير السن وكان في العين نبو عني

فإن شيطاني كبير الجن

ومن الشعراء الإسلاميين من ذكر ذلك فقال العرجي:

"من نسج جن مثله لم ينسج"

---

١ الأوابد، جمع آبدة وهي العادة المتأصلة. ويمكن الرجوع إلى كتاب (شياطين الشعراء)، د. عبد الرزاق حميدة.

وقال البحتري في وصف الإيوان:

ليس يدري أصنع أنس لجن سكنوه أم صنع جن لإنس

وقد هذب الدين الإسلامي تصور العرب عن الجن فأقر بوجودهم وأن لهم عالماً مثل عالمنا وأنهم أمة عاقلة يروننا ولا نراهم ﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾[1] وفي القرآن الكريم سورة باسم (الجن) نزلت بعد عودة الرسول ﷺ من الطائف حيث بايعته طائفة منهم بالإسلام.

٢. **حادثة الإسراء والمعراج** التي ثبتت صحتها في القرآن الكريم والسنة النبوية وفيها تفصيلات وافية عنها. كما أن في الحادثة خروجاً عن عالمنا إلى عوالم أخرى.

أهميتها وقيمتها الأدبية:

تتجلى أهمية الرسالة في جوانب كثيرة في مقدمتها مضمون الرسالة، إذ لا يستطيع أي باحث أن ينكر أن هذه الرسالة تعد بكراً في مجال الرسائل الأدبية تفتق عنها ذهن ابن شهيد وتبدو قيمتها من حيث أسلوبها الأدبي المتميز الذي تضمن ضروباً من المزج بين النثر والشعر، بأسلوب قصصي، يتضمن أدب الحوار والمساجلة، واستنطاق الحيوان، مع طرائف مستملحة تستهوي القارئ وتستميله، بحيث لا يعتريه سأم أو ملل من متابعتها ومن خصائص أسلوبها سهولة ألفاظها وسلاسة أسلوبها واستخدام المحسنات البديعة بشكل غير متكلف.

وهي بهذه الخصائص تمثل نموذجاً متميزاً من نماذج الأدب الأندلسي في القرن الخامس الهجري.

وتكمن أهمية الرسالة كذلك في الناحية النقدية، حيث تمثل نزعة نقدية استقوت في القرن الخامس الهجري وحاولت إثبات البراعة والتفوق لأهل الأندلس، وتحقيق الذات، بعد أن واجهوا من المشرق ازدراء وإنكاراً لمكانتهم وبراعتهم.. وقد استطاع ابن شهيد أن يصحح الفكرة التي تنفي إمكانية اجتماع الشعر والنثر والبراعة فيهما لدى أديب واحد، وهي فكرة تبناها المرزوقي (ت٤٢١هـ) فيما بعد، وبقيت الفكرة سائدة في الأندلس حتى أن أبا المطرف بن عميرة (ت٦٥٨هـ) رد على من انتقده على جمعه بين الشعر والنثر فقال: كذب من قال:

اثنان لا يجتمعان لدى أدِب رسائل فاخرة وشعر منتخب

ويرى محمد رضوان الداية أن ابن شهيد شغلته عدة قضايا وجعل رسالته عرضاً لها وتبياناً لموقفه منها:

١. ما منزلته بين شعراء قومه وكتابهم؟ وما منزلة شعره ونثره في الأدب العربي بعامة؟
٢. ما حدود الأخذ؟ ومتى يسوغ؟

---

١ الأعراف، ٢٧.

٣. ما هو الموقف من طغيان السجع على كتابة الكتاب؟[١]

ويتناول الداية الجانب النقدي في الرسالة فيستنبط المفاهيم النقدية التي مال إليها ابن شهيد وعرض لها وهي تتصل بالإبداع الفني والسرقات الأدبية واللفظ والمعنى والبديهة[٢] وممن استوقفه الجانب النقدي عند ابن شهيد هيكل[٣] حيث أشار إلى نظراته النقدية على نحو سريع وإحسان عباس الذي فصل القول في مواقفه وبسط آرائه التي تميز بها.[٤]

وفضلاً عما تقدم في أهمية الرسالة فإن الحركة العلمية التي اقترنت بها في مجال البحث والدراسة قد وقف دارسون كثيرون عندها وأفردوا فيها بحوثاً ومؤلفات أغنت المكتبة الأندلسية والأدبية بشكل عام.[٥]

الرسالة بين التجديد والتقليد:

احتدم نقاش طويل بين دارسي الأدب حول قيمة هذه الرسالة وقيمة رسالة الغفران، ومدى تأثر إحداهما بالأخرى، وتبع هذا النقاش نسبة الابتكار لأهل المشرق تارة ولأهل الأندلس تارة أخرى لأن كلاً منهما يمثل علماً من أعلام بلاده.

ومن الباحثين من رأى أن كلا الشاعرين عاد إلى أصول واحدة واستمد منها رسالته، وأما فكرة شياطين الشعراء فقد سبق إليهما بديع الزمان الهمداني (ت٣٩٨هـ) في مقامته الإبليسية، ومنهما استمد ابن شهيد مباشرة فلم يُدخل إلا تغييرات قليلة وتعديلات طفيفة.[٦]

وقبل ابن شهيد والمعري، بين أيدينا رسالة الفقيه الحارث بن أسد المحاسبي (ت ٢٤٣هـ) الموسومة التوهم، وهي تاريخياً، تسبق رسالتهما بنحو قرنين من الزمان، ومحاولته من أكثر المحاولات إبداعاً وابتكاراً وأصالة،[٧] ولم نجدها عند غيره ممن سبقه من الكتاب، وهذه الرسالة تقوم على الترسل والترادف والاقتباس وازدواج العبارة

---

١ تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، ص ٣٠١.

٢ نفسه، ٣٠٢ . ٣٠٥.

٣ الأدب الأندلسي، ٣٩٤ . ٣٩٨.

٤ تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ٤٧٦ . ٤٨٣.

٥ ينظر ما كتبه أحمد ضيف في بلاغة العرب في الأندلس، ٥٨ . ٦٤. وزكي مبارك في النثر الفني في القرن الرابع الهجري، (٣١١/١ . ٣٣١). ود. أحمد هيكل في الأدب الأندلس، ٣٨١ . ٣٩٤. ود. إحسان عباس في تاريخ الأدب الأندلسي، ج١. ومن الدراسات التي أفسحت المجال في دراسة الرسالة ما كتبه بطرس البستاني في مقدمتها، ٣٣٤ . ٣٤٠. ودراسة د. بنت الشاطيء لرسالة الغفران حيث تناولت التوابع والزوابع في مجال الموازنة. ورسالة د. حازم عبد الله عن ابن شهيد، حياته وأدبه.

٦ المقامة، ص ٣٢، د. شوقي ضيف، دار المعارف، بمصر، سنة ١٩٥٤، سلسلة فنون الأدب العربي.

٧ يعتمد المحاسبي على خيال خصب، في استحضار الصور التي أخبر الوحي عنها ويردد لازمة في تحقيق هذا الغرض، هي لفظة "فتوهم" تتكرر بين فقرة وأخرى في أول رسالته، ثم تأتي بعد ذلك مع تمام المعنى، فتتكرر خلال الرسالة مائة وثمان مرات. ومع تكرارها يحلق بك المحاسبي إلى عالم الخيال والوهم، حتى تعيش جميع الأحداث من ساعة الحساب إلى العذاب الذي أعد للكافرين أو النعيم المعد للصالحين خطوة خطوة .. والرسالة في حوالي خمس وسبعين صفحة.